مُقدّمة

إنّ الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مُضلَّ له ، ومن يُضْلِلِ فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلاالله وحده لا شريك له ، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله ﷺ .

يقول الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢) ﴾[التوبة : ١٢٢] . وقال ﷺ : « خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا »(١) .

أمّا بعد:

فما من شك : أنّ خير ما يَغْنَمُهُ المسلمُ في هذه الحياة الفقه في الدين ، لا سيَّما ما يتعلق بفقه الإصلاح بين الناس، وغير ذلك من أبواب الفقه ، و حرصت أن يكون هذا البحث في جانب من جوانب أبواب الفقه ، أقدمه في رسالة إلى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة أفريقيا العالمية لنيل درجة الدكتوراه في الفقه المقارن ، وموضوعها " إصلاح ذات البين في ضوء الشريعة الإسلامية والعرف القَبَلي في اليمن " .

أهمية الموضوع :

تُعَدُّ المشكلات والنِّزاعات المسلحة وغير المسلحة من المشكلات التي أخذت حيِّزاً كبيراً في المجتمعات الإنسانية محلياً وإقليمياً ودولياً ، وأصبح معلوماً أنّ القطيعة وسفك الدماء التي تقع بين الأفراد والجماعات سببها التّنازع والتّخاصم،ومن هنا تَنبع أهمية هذه الدِّراسة التي تتناول موضوع إصلاح ذات البين ،سعيًا لقطع النزاعات، وإعادة المتخاصمين إلى جادّة الحق والصواب، فضلاً عن أنّها تلفت الأنظار إلى أفضل

---

(١) رواه مسلم في الفضائل برقم ١٦٨ .

الخيارات والسبُل ؛ لفض النزاع القائم بين المتخاصمين ، وبهذا يتضح لنا أهمية الموضوع والحاجة الماسة إليه،حيث دعت الشريعة الإسلامية إلى إصلاح ذات البين ، قال تعالى: ﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ [النساء:١٢٨]،وقال ﷺ : «اذهبوا بنا نصلح» (١) .

أسباب اختياره :

الأسباب التي دعتني إلى كتابة هذا الموضوع كثيرة، يمكن الإشارة إليها بالآتي :

أولاً : صلة هذا الموضوع بتخصُّصي، وحُبّي لمادة الفقه الإسلامي منذ دراستي في المرحلة الثانوية .

ثانياً : جِدّة الموضوع ، حيث لم أجد ـ حسب علمي ـ من أفرد هذا الموضوع ببحث مستقل يغني في بابه .

ثالثاً : الرّغبة في سَدّ الفراغ الموجود في المكتبة الإسلامية ، وذلك بإجراء دراسة متخصّصة تبحث في موضوع إصلاح ذات البين بتجميع شتات مسائله المنثورة في كتب الفقه وجمعها في مكان واحد .

رابعاً : حاجة النّاس الواقعية لهذا الموضوع.

خامساً : تفعيل دور إصلاح ذات البين الذي يعمل على إنهاء الخصام .

سادساً : كثرة النّزاعات والاختلافات بين القبائل والأفراد وانتشار الثار .

مشكلة البحث :

إنّ اكتشاف المشكلة وتعليلها شرط أساس في البحث العلمي ؛ لذا فإنّ البحث العلمي عادةً يبدأ بموقف غامض أو مشكل ـ أي غير محقّق ـ يدركه الباحث من خلال ملاحظاته أو تجاربه أو اطّلاعاته ، كأنْ يجد شيئاً معيّناً ليس صحيحاً أو يحتاج إلى مزيد من الإيضاح والتفسير (٢) .

---

(١) رواه البخاري في كتاب الصلح ، باب (قول الإمام لأصحابه " إذهبوا بنا نصلح ") حديث رقم (٢٦٩٣) ، صحيح البخاري مع فتح الباري ٥ / ٣٠٠ .

(٢) ينظر : بشير محمد حسين ، بحوث الإعلام الأساسي والميادين ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٩م ، ص ٩٦ .

وقد وجد الباحث أنّ هناك جهلاً من بعض القائمين بإصلاح ذات البين فيما يخص الشريعة وآدابها،والطرق والوسائل في حَلّ بعض القضايا ، وأنّ التجربة التي مرَّ بها الباحث جعلته يستبين خطورة الجهل بهذه القضية التي تُعدُ من القضايا التي تلامس حياة الناس ، وقد رأى أنّ هذه المشكلة تحتاج إلى توضيح الطرق والإجراءات التي يتم بها حلّ النِّزاع من خلال دراسةٍ علميةٍ متعمّقة تتوافق مع منهج الشريعة الإسلامية ، لأنّ الجهل في مثل هذه القضايا يؤدّي إلى قطع الأرحام وسفك الدِّماء ونهب الأموال وإشاعة الجريمة في المجتمعات المسلمة .

منهج البحث :

لقد سلك الباحث منهجاً استقرائياً موضوعياً يعتمد على بحث كل جزئية من جزئيات هذا البحث عند كافّة المذاهب ، معتمداً الاستدلال للتدليل على المسائل الفقهية والحكم عليها . واعتمد على:

- أُمّهات الكتب الفقهية ، وكتب الحديث فيما يتعلّق بمسائل الفقه الخلافية .
- الكتب التربوية والإعلامية والدعوية فيما يختص بالوسائل ، والأساليب ، والطرق ، والإجراءات .

كما حرص على:

- نسبة الأقوال إلى قائلها مقارناً بين مختلف الآراء ، مرجّحاً ما أراه مناسباً ، ومواكباً للدليل من دون تهيُّب ، أو تعصُّب .
- عزو الآيات القرآنية إلى سورها ، مشيراً إلى رقم الآية .
- تخريج الأحاديث من مصادرها ومراجعها الأصلية .
- عزو الأبيات إلى قائلها إلاّ ما ندر .
- الترجمة للأعلام غير المشهورين الذين وردوا في الرسالة .
- وضع المصادر والمراجع في ذيل كل صفحة .
- تذييل البحث بخاتمةٍ تحتوي على أهم النتائج التي توصلت إليها .

- كما أُورد أهم التوصيات .
- المصادر والمراجع .
- الموضوعات .

أهداف البحث :

تهدف هذه الدراسة لتحقيق أغراض عدة منها :

[١] تسليط الضوء على مواطن الخلل ، الذي يمارس عند إجراءات عملية إصلاح ذات البين بين المتخاصمين عند كثير ممّن يقومون بعملية الصلح .

[٢] الوصول إلى أفضل الوسائل ، وأنجح السبل في تحقيق إصلاح ذات البين ، في ضوء الشريعة الإسلامية ، والعرف القبلي في اليمن أنموذجًا .

[٣] إحياء فكرة التصالح، وتشجيع النّاس على اللجّوء إلى إصلاح ذات البين لدى التخاصم وفق الشريعة الإسلامية؛حتى يتم التّخفيف على الجهات الحكومية .

[٤] توضيح الطرق السليمة في حل النزاعات ، وترغيب المتصالحين في تنفيذ القرارات الصادرة عن اللّجان القائمة بالصلح .

[٥] العمل على تشجيع وتدعيم ما يوافق الشريعة الإسلامية في العرف القبلي ، وردّ ما يخالفهـا .

فروض البحث :

إذا كانت الفروض إجابات احتمالية مؤقتة عن أسئلة ، فإنّها تعين الباحث على توجيه جهده في الاتجاه الصحيح .

وعليه فإنّ البحث يضع الفروض الآتية :

[١] إنّ قضية الخصومة أصبحت متفشّية في المجتمعات المعاصرة بشكل أكبر ، لا سيّما في اليمن .

[٢] هناك حاجة ماسّة وقوية لبيان أهمية الصّلح ، وأبعاده النظرية ، والآثار المترتبة عليه على المستوى الفردي والجمعي .

[٣] هناك قصورٌ في أداء أجهزة الدولة المعنيَّة بإصلاح ذات البين ، ممّا يستدعي وضع التّصورات والمقترحات لتعزيز دورها .

[٤] إنَّ كثيراً ممّن يقومون بعملية الصُّلح ليس لديهم العلم والخبرة والكفاية بإجراءات الصلح وفق الشريعة الإسلامية الغرّاء .

[٥] ضعف التواصل بين الدولة ، و مؤسسات المجتمع الشعبية .

حدود البحث :

لكل عمل حدود يقف عندها الإنسان ، والبحث جزء من هذا العمل ، حيث إن الباحث لا يستطيع أن يحيط في بحثه بكل المتغيرات والآثار مُجتمعة ، ومن هذا المنطلق قصرت بحثي في حدود موضوع إصلاح ذات البين ، تعريفه ، ومشروعيته ، وأركانه ، وشروطه، وأقسامه، وطرق انقضائه ، وعوامل الإفساد، ووسائل الإصلاح ، وصفات المصلح وأقسام الصلح سواءً كان علي مستوي الحياة الزوجية ، أو وعلى مستوى الدولة ، وتوضيح إجراءات الصلح على المستوى الشعبي المتمثل في العرف القَبَلي لدى بعض القبائل اليمنية .

الدراسات السابقة :

رغم أهمية الدراسة في هذا الموضوع الذي هو إصلاح ذات البين في ضوء الشريعة والعرف القبلي في اليمن ، إلا أنني لم أجد ـ حسب اطلاعي ـ من أفرده برسالة مباشرة علمية وشاملة ، و هذا لا ينفي وجود دراسة في كتب متفرقة تبيّن أحكام الصلح تحليلاً ،وتحريماً ، وهي ضمن أبواب الفقه في المذاهب الإسلامية وشروح كتب الحديث. وكذلك وجود أبحاث متفرقة في بعض الكتب الحديثة تبين أهمية إصلاح ذات البين ، وواجب الخصوم، وما ينتج عن الخصومة من أضرار على الفرد والمجتمع ، وبيان الواجب على المصلحين والمتخاصمين ، وقد كتبوا في ذلك نثراً وشعراً .

ولكن لم أجد من كتب ـ حسب علمي ـ في كيفية إصلاح ذات البين، وبيان ، وعوامل الإفساد، ووسائل الإصلاح، وإجراءات الصلح على مستوى الفرد، والقبيلة، والدولة .

ومن هنا تميّزت دراستي بالآتي :

[١] أنها جمعت شتات الموضوع .

[٢] أنها بيّنت عوامل الإصلاح ، ووسائل الإفساد .

[٣] أنها أوضحت الطرق والإجراءات المساعدة لمن يرغب في إصلاح ذات البين .

أما الدراسات السابقة ، فتتمثل في مباحث كتب الفقه المتفرقة ، وبحوث جزئية لا ترقَ إلى مستوى البحث العلمي المتكامل والشامل لأطراف القضايا التي تناولتها؛ وعليه فإنَّ أبرز المصادر والمراجع التي استندت إليها تمثلت بالآتي :

[١] الفقه .

[٢] التفسير .

[٣] السيرة .

[٤] كتب التربية والإعلام الحديثة .

وكلُّ المصادر التي أفدت منها مثبتة في قائمة المصادر والمراجع.

فإن أحسنت فمن الله ، وإن أسأت فمن ضعفي وتقصيري ، وحسبي أنّي بذلت الجهد المستطاع ، وفوق كل ذي علمٍ عليم .

الصعوبات التي واجهتني :

لقد واجهت الباحث معوقات كثيرة ، أبرزها:

[١] محدودية الإمكانات المتوافرة في موطن البحث .

[٢] المشاغل الخاصة والعامة .

[٣] قلة المصادر والمراجع في موضوع البحث .

تخطيط البحث وتقسيمه :

بعد دراسة مستفيضة في هذا الموضوع، ظهر لي أن أقسمه على أبواب، وفصول ، ومباحث .

جاءت هذه الرسالة على أربعة أبواب،وثمانية عشر فصلاً تسبقها المقدمة وتتبعها الخاتمة وقائمة الفهارس .

تحدثتُ في المقدمة عن أهمية الموضوع،والأسباب التي دفعتني لاختياره، ومشكلة البحث ، والمنهج الذي أسيرُ عليه في إعداد هذا البحث ، وذكرتُ أهدافه ، وفروضه ، والصعوبات التي واجهتني ، ثم تخطيط البحث وتقسيمه .

الباب الأول : التمهيد :

ضمنتُ هذا الباب تعريف الإصلاح ، أهميته ، حكمه ، وينقسم إلى ثلاثة فصول كالآتي :

- خصصت الفصل الأول لتعريف إصلاح ذات البين .
- وأفردت الفصل الثاني لبيان أهمية الإصلاح .
- أمَّا الفصل الثالث فبيّنتُ فيه حكم الإصلاح .

وضمّنت الباب الثاني : أركان الصلح ، شروطه ، خصائصه ، خطورة فساد ذات البين،دعوة الخصوم للصلح وما يجب عليهم ، وأنواع الصلح ، والصلح في الأموال ، والدماء ، والحدود ، وتوثيقه، ومبطلاته ، وآثاره، واختلافه عن غيره ، وقد تم تقسيمه على سبعة فصول :

- تناولت في الفصل الأول أركان الصلح .
- وعرضت في الفصل الثاني شروط الصلح .
- أمَّا الفصل الثالث فقد اشتمل على خصائص الصلح،وخطورة فساد ذات البين.
- وأفردت الفصل الرابع لدعوة الخصوم للصلح ، وما يجب عليهم .
- واحتوى الفصل الخامس على أنواع الصلح .
- وجاء الفصل السادس ليبين : الصلح في الأموال ، والدماء ، والحدود .
- أما الفصل السابع فخصصته لتوثيق الصلح،ومبطلاته،وآثاره،واختلافه عن غيره.

الباب الثالث : تضمن : بيان عوامل الإفساد ، ووسائل الإصلاح ، وأساليبه ،

وصفات المصلح ، وينقسم على أربعة فصول:

- الفصل الأول : عوامل الإفساد .
- الفصل الثاني : وسائل إصلاح ذات البين .
- الفصل الثالث : أساليب عملية لإصلاح ذات البين .
- الفصل الرابع : صفات المصلح .

الباب الرابع : يتضمن أقسام الصلح ، وينقسم إلى أربعة فصول، وهي كالآتي:

- الفصل الأول : إصلاح ذات البين على مستوى الحياة الزوجية .
- الفصل الثاني : الصلح في العرف القبلي .
- الفصل الثالث : الصلح مع البغاة .
- الفصل الرابع : المصالحة مع الدولة الكافرة .

الخاتمة : وخصصتها لإبراز أهم النتائج التي توصلت إليها ، والتوصيات التي رأيتُ أنه من الضروري الأخذ بها ، لا سيما للراغب في إصلاح ذات البين سواءً على مستوى الدولة أو المجتمع .

وأخيراً : فإني قد بذلتُ قصارى جهدي في إخراج هذه الرسالة بثوب جميل، ومع هذا لا أزعمُ أني قد وصلتُ بها إلى الكمال، فالنقص حاصل،وهذا جهدُ البشر، فإن جاءت الرسالة مقبولة فذلك الفضل من الله ، وإن كانت الأخرى فيشفعُ لي جهدي المتواضع ، وما كان فيها صواباً فمن الله ، وما كان فيها من خطأ فمني ومن الشيطان ، والله ورسوله بريئان منه ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

وكتبه

كامل أحمد عبد الدائم القاضي

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين